المحاضرة السادسة:

أولا: مصادر دراسة تاريخ مصر:

مصادر تاريخ مصر عديدة ومتنوعة تتلخص في الآثار المصرية وكتابات الأجانب والكتب المقدسة.

*النوع الأول: يتمثل في الكتابات على جدران المقابر والمعابد والمسلات والتماثيل وما يتبعها من رسومات ونقوش.

* النوع الثاني: يتمثل في النصوص التي تصاحب هذه المعالم والمسجلة على ورق البردي التي تحمل في طياتها قوائم بأسماء الملوك والأحداث التي شاهدتها فترة حكم هؤلاء ،ومن بينهم:

- حجر بالرمو الذي اكتشف في منف وهو محفوظ في متحف بالرمو ب صقلية، ورد فيها ذكر لِخمسة ملوك من الأسرات الأولى.
- لوحة أبيدوس: التي تتضمن قائمة ب76 ملكاً يبدأ بالملك مينا حتى الملك سيتي الأول.
- لوحة الكرنك التي تحتوي على62 منكاً.
- لوحة سقارة التي تشمل على58 ملكاً.
- بوردية تورين: التي هي عبارة عن قائمة لأكثر من 300 اسم من أسماء الملوك الذين حكموا مصر حتى ملوك الأسرة18 مع تحديد لمدة حكم كل واحد من هؤلاء الملوك.

و بالإضافة إلى قوائم الملوك، هناك أثار الفنون والحرف والنصوص الدينية والتراجم والمخطوطات الأدبية والعلمية والفلسفية التي اكتشفت إلى حد الآن.

- كتابات الأجانب: وتشمل المؤرخين والرحالة الإغريق والرومان ويأتي عل رأس هؤلاء هوميروس في الأوديسة، وهيكاتي الميلي في مؤلفيه(خريطة العالم- رحلة حول البحر)، وهيردوت في كتابه " التاريخ" الذي دوّن فيه كل ماسمعه ورآه أثناء إقامته في مصر دوت تمحيص وأيضا هيكاتي الذي زار مصر حوالي 300ق.م، حيث عاش في بلاط بطليموس،وكذلك ديودور الصقلي الذي زار مصر في59 ق.م وألّف " المكتبة التاريخية" في 40 كتابا، إضافة إلى سترابون صاحب كتاب الجغرافيا الذي عاش مدة بالإسكندرية(5 سنوات) وخصّص الجزء16 من كتابه حول مصر.
- حوليات الحثيين وأرشيف البابليين والأشوريين.
- الكتب المقدسة وتتمثل في القران الكريم والتوراة.

ثانيا: جغرافيـــــة مصـــــر

1. التسمية:

أطلقت على مصر أسماء عديدة على مرّ عصورها القديمة، أولها اسم " كمي- KM" وجمعها كيمو KMU أو كمي KMW ويقصد بها السواد، ثم اسم "كمت-MEMYT" للدلالة على الأرض

السوداء والحمرية، وبالاضافة إلى ذلك سميت مصر ب " تاوي" بمعنى الأرضين كإشارة إلى(تاسمعو) أرض الصعيد بالجنوب، و"تامحو" أرض الدلتا بالشمال، كما عرفت باسم" إيدوي" بمعنى الضفتين الشرقية والغربية ، وخبشوت بمعنى أرض القوة، و" وجاة" بمعنى السليمة، وسمّوها أيضا" ياقة" بمعنى الزيتونة للدلالة على خضرتها الدائمة ، أما الإغريق فقد أطلقوا على النيل وأرض النيل اسم Aigyptus .

2- موقعها الجغرافي :

كان لموقع مصر الجغرافي أهمية كبيرة وتأثير مباشر على سير أحداثها التاريخية ، وتطورها الحضاري ، ، إذ تقع مصر في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا ، يشقها نهر النيل العظيم من الجنوب إلى الشمال ، وتعتبر الدكتورة شافية شارن أن مصر تحتل مصر موقعا استراتيجيا هاما إذ تقع عند ملتقى القارات (أسيا- إفريقيا- أوروبا)، وتتكون من واد ضيق محصور بين سلسلتين جبليتين هما سلسة جبال الغرب بالجهة الشرقية وسلسلة جبال ليبيا بالجهة الغربية، يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشرق فلسطين وخليج العقبة والبحر الأحمر، ومن الغرب ليبيا، ومن الجنوب السودان وتبلغ مساحتها حوالي مليون كيلومتر مربع، جُلّها صحاري.

3.واد النيل:

اختلف الباحثون حول تسمية واد النيل بحيث هناك من رأى أنّها كلمة ديموطيقية" ن-ال-و"، وهناك من رأى أنها كلمة يونانية " نيلوس-Nilos"، أما الرأي الثالث فيعتبر أن النيل كلمة عربية مشتقة من نال باعتبار النيل نوال أو هِبة من السماء.

الجانب التاريخي للحضارة المصرية :

أولا ــ عصر الدولة القديمة : و يشمل الأسر من 1 إلى 6 و يقسم بدوره إلى مرحلتين هما :

أ ــ **العصر العتيق (العصر الثّيني)** (3150 ق.م ــ 2686 ق.م) يضم الأسرتين اللّتين يبدأ بهما التاريخ المدوَّن لمصر وهما الأسرتين 1 و 2 ، بدأت هذه الفترة مع توحيد الملك "مينا-نارمر" لمصر السفلى و العليا ، و سمي بالعهد الثيني حيث كانت "ثني" التي تقع بالقرب من مدينة "أبيدوس" هي أول العواصم المصرية في ذلك العهد ، ثم انتقل الحكم إلى مدينة "تانيس " في عهد الأسرة الثانية.

لم تبق الوحدة السياسية التي أنجزها الأسرة الأولى موطدة بشكل دائم، إذ استمرَّ النزاع بين الشمال والجنوب في عهد الأسرة الثانية(2820-2670 ق.م)، التي أسسها الملك "**حوتبسخموي**"، ثم جاء بعده "**خعسخموي**" ويعني اسمه (الاثنان القويـــان) ، و الراجح أنّ الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب لم تكن دائمة، مع ضرورة

الإشارة إلى أن عهد "خعسخموي" امتاز بالتقدم والسلام لأنه نجح في القضاء على عوامل الفتنة التي كادت أن تؤدي إلى هلاك البلاد ودمارها، حينما غزا الشمال، واتخذ من "منفيس" مركزا لحكمه .

ـــ من أهم آثار هذا العصر بناء المصاطب؛ إذ بنى كل ملك من ملوك الأسرة الأولى مصطبتين واحدة في الشمال والأخرى في الجنوب لتكون إحداهما (ربما الشمالية) مقبرة للملك، كما ذكر للملك "مينا" بناء عاصمة للدولة عند رأس الدلتا هي مدينة "منف".

ب ـــالمملكة القديمة (عصر بناة الأهرام):

دامت مدة المملكة القديمة نحو خمس قرون (2670ق .م ـــ 2150 ق.م)، وبدأت الدولة القديمة بالأسرة الثالثة ، وتنتهي بنهاية السلالة السادسة وسمي بعصر بناة الأهرام لتميزه ببناء الأهرامات الكبيرة منذ عهد الملك "زوسر" أشهر ملوك الأسرة الثالثة (2670–2600ق.م)، إذ دفن ملوك هذه الأسر باستثناءات قليلة في قبور شُيد فوقها بناية هرمية الشكل عرفت باسم الأهرامات ، وفضلا عن بناء الأهرامات في هذا العصر، تطورت الحضارة المصرية تطورا سريعا ، فزادت قوتها عن طريق الحكومة المركزية والإدارة الفاعلة والكتابة الهيروغليفية المتطورة.

ويعد "زوسر" ويعني اسمه (المقدس) أول ملوك الأسرة الثالثة، واتسم عهده بالوحدة السياسية في مصر القديمة، وقد قام بتطوير المصطبة إلى الهرم المدرج الذي تطور في عهد الأسرة الرابعة إلى الهرم الصحيح، واتخذ "زوسر "من أبيدوس عاصمة لحكمه ـــ دام 19 سنة.

ـــ ثم نقل عاصمته إلى منفيس، وشهد عهده تقدما في جميع المظاهر الدينية، وإرسال حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة سيناء ممن كانوا يتعرضون للحملات المصرية المرسلة لإحضار النحاس. و تبدأ السلالة الرابعة (2600–2450ق.م) بحكم الملك "سنفرو"، وحكم 24 عاما، أرسل خلالها حملة على بلاد النوبة، وأقام الحصون على الحدود الشرقية، لِوَقف تسرب البدو إلى الدلتا، وقام بحملة على ليبيا، وبنى المعابد والقلاع والمنازل ، و القيام برحلات لإحضار خشب الأرز من سوريا، وكما بنى سنفرو هرمين في(سقارة) و(ميدوم) يرجح أنه دفن في أحدهما.

خوفو: يعد خوفو من أشهر ملوك مصر، وشهرته هذه جاءت من قيامه ببناء الهرم الأكبر في الجيزة، وخوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة، وقد تولّى الحكم بعد وفاة والده سنفرو، ومع أن هيرودوت يذكر أن خوفو حكم 63 سنة، إلا أنه وطبقا لبردية (تورين)حكم نحو 23 سنة ، له تمثال وحيد طوله خمسة سنتيمترات عثر عليه في أبيدوس مصنوع من العاج.

وخلَفه في الحكم ابنه "خفرع" الذي يعد أول من أطلق على نفسه "ابن الإله رع"، واستمر في إرسال الحملات الحربية إلى سيناء وهذا ما لم يتم في عهد خلفائه، وبنى ثاني الهرمين الكبيرين في الجيزة كما نسب إليه معبد "أبو الهول" ، ويعطي هيرودوت مدة حكم هذا الملك بنحو 56 سنة، خلفه "منكورع" الذي حكم زهاء 20 سنة، وقد بنى هذا الملك الهرم الثالث في الجيزة ،و في نهاية هذه الأسرة الرابعة بدأت عبادة الإله (رع) إله الشمس على حساب عبادة الملك.

وبسبب التطاحن في نهاية الأسرة الرابعة بين الأمراء، وضد كهنة الإله "رع"، ظهر الأمير "أوسر كاف " الذي أسس أسرة جديدة عرفت بالأسرة الخامسة(2450–2345ق.م)،ويرجح أنه كان الكاهن الأعلى للإله (رع)،

ودام حكمه نحو ثماني سنوات، أما آخر ملوك الأسرة الخامسة فهو "أوناس" الذي يعد أحسن ملوك هذه الأسرة ، وامتد حكمه نحو ثلاثين عاما ، إلاَّ أنَّ سلطان حكام الأقاليم أخذو بالتزايد بعد وفاته وشرعوا بتوريث مناصبهم لأولادهم وأخذوا يحملون ألقابا كـــ(القائد العظيم) وخضع أوَلادهم اسميا فقط للسلطة المركزية.

توفي الملك "أوناس" دون أن يترك له وريثا ، فتأسست أسرة جديدة عرفت **بالأسرةالسادسة**2345-2150ق.م على يد " تتيس حتبتاوي"، وقد توجه ملوك أسرته من بعده إلى عبادة الإله "بتاح" ، و يعد الفرعون" بيبي **الأول**"أشهر ملوك هذه الأسرة، إذ ارتقت في عهده الفنون وعادت مصر إلى صلاتها مع جيرانها ، وشهد عهده إرساله لحملات برية وبحرية لاسيمّا بعد تعرضت الحدود الشرقية للانتهاكات ، و اشتهر من هذه الأسرة" بيبي **الثاني**" آخرملوك الأسرة السادسة وكان من أعظم ملوك المملكة القديمة ،و بوفاة "بيبي الثاني" حوالي 2150 ق.م تنتهي مدة حكم الأسرة السادسة لينتهي معها عهد الدولة القديمة.

وعن وصف مصر الفرعونية بعد سقوط الأسرة السادسة، يقول الحكيم "إيبور": **"انظر لقد تغيرت البلاد وتبدلت أحوالها وساءت.. وليس أدل على ذلك من أننا نرى النيل يوافينا بفيضه.. والناس على الرغم من ذلك نيام لا ينهضون لخير، ولا يعملون في زرع .. ، لا لأنهم يكرهون الزرع ..، ولكن لأنهم لا يعرفون ماذا يطالعهم به الغد من شرور وأهوال** .. "، لتدخل مصر فيما يعرف **بالفترة المظلمة الأولى** أو العصر الانتقالي الأول (2150-2040ق.م).

ـــ عصر الانتقال الأول :يشمل عهد الأسرات بين (7-10) وقد ذكر مانيتون أن ملوك الأسرةالسابعة **"كانوا سبعين ملكا حكموا فى منف سبعين يوما"** وبالطبع يبدو ذلك ضربا من الخيال ولكنه يعبر في نفس الوقت عن مدى الفوضى التي عمّت البلاد بحيث انتشرت الفوضى والاضطرابات و انقسمت السلطة سياسيا بين حكام الأقاليم ، و تعرضت مصر لهجمات قبائل البدو الآسيويين وسيطروا على بعض أجزائها ، أما الأسرة الثامنة فيرى معظم المؤرخين أنها قامت كذلك في "منف" ومؤسسها هو الملك **"نفر كارع"** وفي عهد هذه الأسرة ازدادت أحوال البلاد سوء .

ظهرت مكانة مدينة "أهناسيا"(بمحافظة بني سويف) ،و كانت عاصمة الأسرتين التاسعة والعاشرة، و الأسرة التاسعة مؤسسها هو الملك **"خيتي الأول"** و دامت هذه الأسرة حوالي ثلاثين عاما فقط ، أما مؤسس **الأسرة العاشرة** فيحمل نفس الاسم **"نفر كارع"** و امتد حكمها لأكثر من مائة عام ومن ملوكها أيضا الملك **"خيتي الثالث"** وبسطت نفوذها على أقاليم مصر الوسطى وعلى الدلتا. غير أن أسرة "أهناسيا" لم تنجح في إعادة الوحدة إلى البلاد، وإذ نافستهم أسرة قوية ظهرت في "طيبة" (الاقصر حاليا)، واستطاع أمراؤها القضاء على الأسرة العاشرة في "أهناسيا"، وإقامة أسرة جديدة هي الأسرة الحادية عشرة، التي بها يبدأ عصر الدولة الوسطى.

ثانيا: عصر الدولة الوسطى(2040 ق.م ــ 1786 ق.م):

يشمل عهد الاسرتين 11 و 12 ، و اشتهرت الفترة بالرخاء الاقتصادي ، ويعد الملك **"أمنتوحتب الثاني"** مؤسس الأسرة الحادية عشر وأعظم ملوك هذه الأسرة؛ إذ أعاد وحدة مصر وحمى حدودها الشرقية من الأسيويين بعد أن قضى على حكم "أهناسيا ".

و خلفّ "أمنتوحتب الثاني" عدة ملوك اتخذوا الاسم نفسه الذي يرتبط بالإله "منتو"، ولكن أيام هذه الأسرة انتهت عام 1991ق.م ، وجاءت بعدها الأسرة الثانية عشرة، وكان مؤسسها الملك "**أمنمحات الأول**" (كان وزيرا لآخر ملوك الأسرة الحادية عشر)، وتَسَمّى العديد من ملوك هذه الأسرة باسمي "أمنمحات" و"سنوسرت" ، ومما يذكر لهم حماية حدود مصر الشرقية، وازدهار التجارة المصرية مع الساحل الفينيقي.

ـــ **عهد الانتقال الثاني** :(1786 ق.م ـــ 1580 ق.م) نهاية الدولة الوسطى شبيهة إلى حد كبير بنهاية الدولة القديمة، فبعد وفاة الملك "إمنمحات الثالث" ضعفت مكانة الفرعون في عهد خلفاءه وبدأ الصراع بين حكام الأقاليم وحلّت الفوضى، وعادت البلاد إلى التفكك، وسقطت البلاد في يد الأجانب و دخلتها قبائل من البدو أتوا من غرب آسيا يعرفون باسم" **الهكسوس**" احتلوا شمالها ووسطها، وظلّوا بها قرنين من الزمان، و يقول المؤرخ المصرى "مانيتون "عن أسباب سقوط مصر في أيدي الهكسوس" **إن الرعاة قد استولوا على مصر بسهولة، واجتاحوها في غير حرب، لأن المصريين كانوا يومئذ في ثورة واضطراب** ".

– **الهكسوس**: في اللغة المصرية القديمة معناها "حكام البلاد الأجنبية"، وهم قبائل بدوية آسيوية، جاءت من فلسطين، وأسماهم المصريون الرعاة، تسلّلت تلك القبائل إلى شرق الدلتا ،واستقرت في مدينة "أواريس" "صان الحجر" واتخذها عاصمة، وواصلت زحفها جنوبا حتى احتلت مدينة "منف"، ومصر الوسطى، وفي الوقت نفسه سيطر النوبيون(السودانيون) على الجزء الجنوبي من البلاد، و لم يبق مستقلا سوى جزء يحكمه أمراء طيبة.

ويشمل هذا العصر الأسرتين المصريتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة وأسرتي "الهكسوس" الخامسة عشرة والسادسة عشرةحوالي ،ومن الواضح أنه منذ نهاية عهد الأسرة الثالثة عشرة لم يجرؤ أحد من الأمراء المستقلين على إدعاء الملك وتحدى الهكسوس وذلك حتى تجرأ أمراء الصعيد مؤسسي الأسرة السابعة عشرة على اتخاذ ألقاب الفراعنة .

ثالثا ـــ عهد الدولة الحديثة: (1580 ق.م –1080ق.م) وقد نشأ هذا العهد كنتيجة لفترة عدم الاستقرار التي شهدتها مصر بعد غزو الهكسوس لها في عصر الأسرة الثالثة عشر و ما تلاه وكانت حينها مصر مقسمة إلى ثلاثة ممالك رئيسية هي:

- مملكة "الهكسوس" التي كانت تسيطر على مدن "الدلتا" و أقاليم "مصر الوسطى".
- مملكة "طيبة" التي ظهرت وشكلت الأسرة السابعة عشرة وكانت تسيطر على إقليم الصعيد.
- مملكة "النوبة" التي كان يحكمها أمير نوبي يسيطر على الجنوب، و تروي النصوص الأثرية المختلفة مجريات الأحداث مع الهكسوس وكيف سقطت "أواريس" عاصمة الهكسوس بعد حصارها وكيفية تراجع الهكسوس إلى مدينة "شاروهين" في جنوب "غزة" وحصارها من الجيش المصري لمدة ثلاث سنوات حتى أسقطها ، وكيف هربت فلول الهكسوس إلى منطقة "فلسطين" و"سوريا" ، لتنتهي الأحداث بتحرر مصر من الهكسوس نتيجة لجهود ملوك الأسرة السابعة عشرة (طيبة) مثل "كامس" و أخيه "أحمس الأول" محرر مصر من الهكسوس ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة1580 ق.م –1295ق.م التي تعتبر عند الكثير من المؤرخين أشهر الأسرات الفرعونية في تاريخ مصر الحديثة.

و لعدم إمكانية التفصيل في هذا العهد ، يمكن القول أنّ هذا العهد تسمى فيه كثير من الفراعنة باسم "أمنحوتب " و "تحتومس" خلال **الأسرة 18** الفرعونية ، و" **الرعامسة**" خلال **الأسرة** 19(1295 ق.م ـــ 1188 ق.م) و **العشرين**

(1188 ق.م ــ 1069 ق.م) تسمى أغلب ملوكها بـــ"**رمسيس**"، و في هذا العهد كان للفراعنة ما للقوة العسكرية من أهمية، و تحول الاهتمام إلى الجانب العسكري من جهة و إلى التوسعات الخارجية فيما عرف بالعهد الإمبراطوري و خروج مصر من إطارها الجغرافي المعهود.

و لعلّ هذا العهد حسب الدارسين أزهى عصور الدولة الفرعونية لما عرفه من ظهور فراعنة أقوياء ، وبلوغ مصر قمة تفوقها العسكري و خرجت من حدودها لتخضع عدة مناطق كفينيقيا و فلسطين وبعض دول المدن الآرامية و العبرانيين و النوبة و قبائل التحنو في غرب النيل ، إضافة إلى الرخاء الاقتصادي و اكتمال العناصر الفنية و العمرانية.

ومن فراعنة الأسرة 18 المشهورين نذكر "**أحمس الأول**" قاهر الهكسوس ، و"**تحتومس الثاني**" و "**أمنحوت الثاني**" و "**أمنحوتب الثالث**" اشتهروا بتوسعاتهم العسكرية في سوريا(والملكة" **حتشبسوت**")اشتهرت بمعبد الدير البحري و إرسالها بعثات تجارية إلى بلاد "بونت و" **أخناتون**" اشتهر بحركته الدينية، ومن الأسرة الـــ19 نجد" **سيتي الأول**" رأس الأسرة و "**رمسيس الثاني**" الذي فرض نفسه تاريخيا من خلال منشآته العظيمة وحملاته الظافرة وحكمه الطويل الذي بلغ سبعة وستين عاما ، ولقد أنشأ رمسيس عاصمة جديدة لمصر هي "بر ـــرعمسيس" كما هزم الحثيين في معركة "قادش"، واشتهر كذلك" **مرنبتاح**" ،و من الأسرة الـــ20 نجد "**رمسيس الثالث**" قاهر شعوب البحر.

*ـــ **عهد الانتقال الثالث** : يعرف عند المختصين كذلك بـــ**العصر المتأخر** و يمكن التأريخ له بوفاة "**رمسيس الثالث**" ، دخلت مصر في طور من الضعف والتفكك انتهى بخسارة ممتلكاتها في "سوريا" و"فلسطين" و بسيطرة "الليبيين" بعد ذلك على "الدلتا" ، فبعد وفاته حكم ثمانية من الفراعنة الضعفاء بداية بـــــ" رمسيس الرابع" حتى "رمسيس الحادي عشر"، الذي انقسم حكم مصر بعد وفاته بين كهنة "آمون" في "طيبة" في الجنوب وبين القادة العسكريين في "الدلتا"إلى الشمال. ومن علاقة النسب والمصاهرة بين بيت "حر ـــ يحور "كاهن "طيبة" و"نسي ـــ بابند"الحاكم العسكري للدلتا ولدت الأسرة الحادية والعشرين (1087 ق.م ــ 945 ق.م) والذي يشوب ترتيب ملوكها كثير من الاضطراب ولا يوجد اتفاق بين الباحثين بشأن ترتيب الحكام فيها،نظرا لاستمرار تقاسم السلطة في الواقع بين الجنوب في "طيبة" والشمال في "تانيس" ولكن تشتهر فيها أسماء "سمندس" و"بسوسنس الأول" و"أوسركون" و"سي ـــ آمون" و "بسوسنس الثاني"، و تميّز ملوكها بالضعف عموما ، حتى ظهور "شيشنق الأول" الليبي وتكوين الأسرات من الثانية والعشرين حتى الرابعة والعشرين. و يعتبر "**تاف ـــ نخت**" مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين من أقوى الفراعنة الليبيين في مصر، لأنه فرض نفوذه على أمراء غرب "الدلتا" ثم حارب أمراء "مصر الوسطى" حتى أخضعهم وتمكّن في نهاية الأمر من إخضاع أمراء شرق "الدلتا" أيضا ، وأصبح حاكما معترفا به على كل الوجه البحري ومصر الوسطى وبدأ في الزحف على الصعيد(مصر العليا).

ظهر للملك" تاف ـــ نخت" منافس قوى قادم من الجنوب مؤسسا الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية جنوب بلاد النوبة(750ق.م ــ 658 ق.م) هو الملك "كاشتا"و والد "بعنخي" ، و في 747 ق.م أسرع ، "بعنخي" بإرسال جيوشه إلى مصر و سيطر كذلك على الدلتا و نصبه الكهنة فرعونا لمصر، تلاه في الحكم "شاباكو" و الذي عاصر ظهور القوة الأشورية في الشرق الأدنى خلال عهد الملك "سرجون الثاني"، ثم جاء بعده "شبتكو" ثم "طهرقا" الذي عاصر فترة حكمي "سنحاريب" و "أسرحدون" و توسعهما في مصر ـــ و عرفت بمرحلة الاحتلال الأشوري.

ـــ**مرحلة الاحتلال الأشوري لمصر**: سعت آشور إلى السيطرة على بلاد الشام، وتم لها هذا الأمر بعد جهود بذلها سنحاريب وأسرحدون، وأدركت مصر أن الاحتلال سيكون مصيرها، ولذلك أخذ ملكها "طهرقا" يعمل على تشجيع الفلسطينيين ومدن الساحل السوري عامة على الثورة ضد آشور، ومن المحتمل أن مصر كانت وراء ثورة صور التي جاء أسرحدون بنفسه

وحاصرها. ثم تركها محاصرة، واتجه إلى مصر حيث استولى على عاصمتها منف، وبذلك اعترف كل حكام الأقاليم المصرية بسلطان الأشوريين عليهم، ودفعوا الجزية إلى ملكها، وبعد سنوات قليلة ثار الملك طهرقا على الآشوريين، فما كان من الملك الآشوري "آشوربانيبال" إلاّ أن أرسل جيشا قضى على الثورة، واتجه جنوبا إلى "طيبة" واحتلها، وحاول المصريون الثورة للمرة الثانية، إلا أن الآشوريين غلبوهم على أمرهم ووصلوا إلى "طيبة".

لكن استطاع الملك المصري" **بسماتيك الأول**" أن ينهي السيطرة الأشورية مستغلاً توسعات الميديين ضد الأشوريين و سيطر على مصر مؤسساً للأسرة السادسة والعشرين الفرعونية(664 ق.م ــ 525 ق.م) ، واشتهر من حكام الأسرة" **نخاو الثاني**" حوالي 610 ق.م. لتتوالى الأحداث خاصة مع استقدام المرتزقة اليونان للبلاد.

وباستيلاء "قمبيز" الفارسي على مصر تأسست "الأسرة السابعة والعشرين" الفارسية، وقد حكم فيها خمسة ملوك هم "قمبيز" الذي غزاها عام 525 ق.م ثم "دارا الأول" الذي زارها عام 517 ق.م ، ثم الملك "أسركسيس" ثم "أرتاكسركسيس" وأخيرا "دارا الثاني" الذي توفى عام404 ق.م ، ليستقل بها بعد ذلك الفرعون المصرى "**آمون ــ حر الثاني**" الذي كان قد أعلن الثورة في أواخر عهد "دارا الثاني" حوالي سنة 410ق.م ؛ و تمكّن من الاستقلال سنة 404 ق.م مؤسسا الأسرة الثامنة والعشرين المصرية وظل يحكم لمدة ستة سنوات حتى عام 399 ق.م .

وبعد وفاة "آمون ـــــ حر الثاني" خلفه أحد أمراء الدلتا الأقوياء ويدعى "**نفريتس**" مؤسسا بذلك الأسرة التاسعة والعشرين المصرية واتخذ من مدينة "منديس" عاصمة له، وقد ضمّت هذه الأسرة أربعة ملوك حكموا حوالي عشرين سنة(398 ق .م–378 ق.م) و من ملوك هذه الأسرة الأقوياء "**باخوريس**" الذي حكم لمدة ثلاثة عشر عاما تمكن خلالها من صد الحملة القوية التي أرسلها الفرس على مصر ، وفي عهده عاد بعض النفوذ المصري إلى "فلسطين" وجنوب "فينيقيا " ،و ظهر بعد ذلك "**نختنبو الأول**" الذي تمكن من تأسيس الأسرة الثلاثين المصرية(380–343 ق.م) ونقل العاصمة من "منديس "إلى "سمنود"، واشتهر في هذه الأسرة "**نختنبو الثاني**" الذي صد الحملة التي أرسلها الفرس إلى المصريين(351–350 ق.م)، ولكنه لم يصمد في الحملة الثانية التي قادها الملك "أرتاكسركسيس الثالث" بنفسه فتراجع إلى مصر العليا ، وتمكن من الصمود لحوالي سنة ونصف ثم هرب إلى الجنوب لتتحول مصر إلى إقليم فارسي مرة أخرى، في الفترة التي يعتبرها بعض المؤرخين الأسرة الحادية والثلاثين الفرعونية (343 ق.م ــ 332 ق م) .

و لم يدم الحكم الفارسي فترة طويلة إذ تلاه زحف "الإسكندر المقدوني" في حملاته الشهيرة على آسيا وهزم الملك "دارا الثالث" في موقعة "أفسوس" عام 333 ق.م، ومن هناك اتجه إلى سوريا فمصر التي سلمها له الوالي الفارسي"مازاكيس "بدون قتال في عام 332 ق.م فدخلها منتصرا و توّج فرعونا في معبد الإله "بتاح " بـــ"منف"، لتدخل مصر في حقبة تاريخية جديدة عرفت بـــ**حكم البطالمة** في مصر ولعّل أشهرهم الملكة كيليوترا.

المحاضرة السابعة:

المجتمع المصري

الطبقية:

كانت الطبقية أساسا في المجتمع المصري، ولكنها اقتصرت على طبقتين اثنتين شديدتي الترابط، هما: الطبقة العليا(طبقة حاكمة) وأخرى محكومة. فلا مجال للعمل أمام الطبقة الثانية إلا فيما تهيئه لها الطبقة الأولى من إمكانيات.

أولا: الطبقة العليا: وهي المستأثرة بمقدرات البلاد، وعناصرها:

١–الفرعون: ولفظة فرعون مشتقة من (Peraa) ومعناها " الصرح الكبير". وقد عنت هذه التسمية في الأصل القصر الملكي ثم ما لبثت أن دلت على الفرعون نفسه. ويجمع الفرعون بين سلطتين زمنية ودينية، بل هو أكثر من ذلك، إنه ملك إله. ومرجع ذلك الفترة التي سبقت توحيد مصر في دولة واحدة، إذ اعتبر الملك آنذاك نصف إله و" خادما للإله هوروس" وبعد الوحدة أضحت لفظة "هوروس" تعني الفرعون نفسه. فرسخت مفاهيم سلطته الروحية في أذهان الشعب. واعتبرت المراسيم الدينية الواجبة للآلهة واجبة للفراعنة أيضا. واستقر الرأي على اعتباره ابن الإله "رع".

ومنذ حكم الفرعون " نارمر" (٣٢٠٠ق.م) تبلورت السلطة الزمنية وتعاظمت حتى تجاوزت كل حد. فكل ما في البلاد يتعلق بالفرعون، سواء شمل ذلك الأشخاص أم الأملاك. والطاعة للفرعون عمياء تظهر في عظمة المراسم المحيطة به. فهو يقيم العدل ويدأب على التنظيم ويسهر على الإقتصاد ويؤمن الدفاع، لا لأنه أمام شعبه بل ليكسب رضى آلهة آبائه.

٢– النبلاء: أما الحاشية والطبقة النبيلة، فقد تكونتا تدريجيا من ذوي الفرعون وأنسبائه والمختصين له والمحيطين به. فمن بينهم قد اختار الوزراء والكتبة والكهنة والقادة وسائر الموظفين ليعاونوه في حكم البلاد.

أ– **الوزير:** في أواخر الدولة القديمة تعاظمت سلطة الوزير حتى طغت على سلطة الفرعون نفسه، اقتصرت مهمته في البدء على معاونة الملك في تصريف أمور الدولة ، من إشراف على الإدارات والاقتصاد والقضاء. ثم أصبح مطلق الصلاحية خاصة إذا كان الفرعون ضعيف الشخصية. وهكذا تمكّن الوزراء من حفظ هذا المنصب بالوراثة لذريتهم من بعدهم.

ب–الكهنة: مِن بين الكهنة مَن تضاعف نفوذه حتى أصبح فرعونا مثل " أمينوفيس الرابع ". وتعاظم سلطة الكهنة ناتج عن حاجة المجتمع إليهم وعن إنفرادهم في إدارة المعابد والتصرف بأموالها والإستثمار بنذوراتها. فجمعوا نتيجة لذلك مالاً وفيرا، وامتلكوا نصف الأراضي الزراعية في مصر تقريبا. وتمرسوا بالعلوم والسحر حتى تضخمت سلطتهم المعنوية، وغدوا طبقة اجتماعية مميزة. وفي " طيبة" عاصمة الدولة الوسطى كان مركز رئيس الكهنة: " كاهن أمون الأكبر"، الذي اعتبره الفراعنة مستشارهم الأول.

ج– الموظفون: اقتضى اتساع رقعة البلاد، واستطالة شكل وادي النيل، تقسيم الدولة إلى مقاطعات يرأس كلا منها موظف يُمثل الفرعون وينفذ أوامره. وما لبث أن تكاثر عدد الموظفين حتى بلغ عشرات الألوف، من درجات متفاوتة أبرزهم مدير الإدارة. وتوزعوا حسب صلاحياتهم، فمنهم من تسلم شؤون الأمن ومنهم من اهتم بإقامة العدل وغيرهم اهتم بإدارة ممتلكات الفرعون وغيرهم سهر على جباية الضرائب. ونتيجة الصلاحيات التي أعطيت لهم تعزّز مركزهم الإداري وأصبح بإمكانهم فرض العقوبات. وزاد في منزلتهم صعوبة الوصول إلى الوظيفة .

د– الكتبة: الكاتب شخص بالغ الأهمية، نظرا لقلة من يتقنون الكتابة والحساب. والكتابة جهد متواصل ومراس طويل، يوجب الكثير من الدقة والمران لفهم أوامر الفرعون وتنفيذ رغباته بحذافيرها. كذلك الكتابة أمر يتوق إليه الجميع، لما يفتحه أمام الفرد من مجالات الكسب والرفعة. فمن بين الكتبة يهيأ الكاهن أو الوزير أحيانا.

ثانيا: الطبقة العامة: والمقصود بها الطبقة المحكومة وإليها ينتمي السواد الأكبر من السكان.

١– الفلاحون: معظم العامة من الفلاحين غير الملاكين. يسعون إلى خدمة الطبقة العليا أو يرتبطون بسيد، مما يؤدي بهم إلى حياة الاستعباد أحيانا. ويرتبطون بالأرض أيضا كما في النظام الإقطاعي، فإذا بيعت الأرض انتقلوا معها إلى السيد الجديد.

واتصفت طبقة الفقراء بالصبر والطاعة، وتعرضت للكثير من أعمال السخرة، لا سيما بعد فترة الحصاد أو إبان الفيضانات.

٢– العمال: أما العمال فلم تكن حال معظمهم بأفضل من حال الفلاحين. اقتصر نشاطهم على الحرف التقليدية، يُمثلها ما وصل إلينا من نقوش ورسوم، معظم إنتاجهم يكاد لا يكفي الحاجات الإستهلاكية ومطالب الطبقة العليا بنوع خاص. وفي طليعة إنتاجهم النسيج والخزف والحلي، وكذلك الزجاج الذي أخذه عنهم الفينيقيون وجعلوه شفافا.

٣– الجيش: المصريون بطبعهم شعب مسالم، وهذا ما أخر ظهور جيشهم النظامي، وإنما في بعض الأزمات، أو عندما يشعرون بخطر جيرانهم الليبيين والنوبيين، يعمدون إلى إعلان تعبئة جزئية في المقاطعات، وتعلن التعبئة عادة بعد الحصاد حتى لا يختل الميزان الإقتصادي.

ومع قيام الدولة الحديثة، والشعور باستراتيجية التوسع حتى لا يباغتوا في أرضهم، صمم الفراعنة على الاحتفاظ بجيش دائم. اختاروا أفراده منذ حداثة سنهم. ولم يسمحوا للفلاحين بأن ينخرطوا فيه حتى لا يتأثر القطاع الزراعي. وشمل هذا الجيش إلى جانب العناصر الوطنية مرتزقة بينهم الليبيون والسوريون والسودانيون والأحباش.

وحياة الجند إجمالا مرهقة، لأن معظمهم من المشاة، أما الأسلحة فقد اقتصرت في البدء على السيوف، لتنتهي بظهور العربات الحربية.

المحاضرة الثامنة

الكتابة والأدب والعلوم:

أ.الكتابة: شعر المصريون بالحاجة إلى تدوين أفكارهم خوفا عليها من الضياع، ولما كان الفكر مسخرا للدين بدا طبيعيا أن تتخذ الكتابة صيغة مقدسة فسميت باسم " الهيروغليفية" أي الصور او الكتابة المقدسة.

ومعرفتنا بالكتابة الهيروغليفية عائدة إلى القرن التاسع عشر (1822) حين اهتدى العالم الفرنسي " شامبوليون" (Champollion) إلى قراءة "حجر الرشيد". وهو حجر وجده أحد جنود حملة بونابرت على مصر عام. فقرأ على هذا الحجر كتابة باليونانية تقابلها كتابة بالهيروغليفية. فخطر بباله أن يكون النص اليوناني ترجمة للنص الهيروغليفي. وبعد بحث وتدقيق طويلين صحت نظريته، فَقُرأت بعض الأحرف والعبارات. ومن هذا المنطلق تمكّن من حل معظم رموز هذه الكتابة.

١ – المرحلة التصويرية: مرّت الهيروغليفية شأن كل الكتابات بمرحلة أولية تصويرية، حيث أنّ الصورة تعبر عن الفكرة. فصورة القدم تعطي فكرة المشي، وصورة العصفور تعطي فكرة على الطيران، ولكن هذه الصور غير دقيقة من حيث أدائها المعنى، إذ أنّ الصورة الواحدة قد تعطي أكثر من تأويل، أو تعجز أحيانا عن التعبير، فكيف يعبر مثلا عن الكذب ؟ إلا أنهم لتمييز الاسم من الفعل جعلوا إشارة خاصة تتبع الفعل دائما.

٢– المقطع الصوتي: أما المرحلة الثانية فكانت الكتابة المقطعية الصوتية، والمقصود بها أن تعبر الصورة عن مقطع كلمة فتحتفظ بقيمتها الصوتية فقط. و لم ينتقل المصريون من مرحلة إلى أخرى بصورة نهائية. بل كانوا يخلطون بين كلتيهما، مما يزيد في مشقة الكتابة والقراءة.

ب. الأدب: وجدت الآثار الأدبية في أماكن مختلفة من مصر، وذلك عائد لاختلاف أزمان نظمها أو كتابتها. فبعضها وجد محفورا على جدران الأهرام وبعضها مكتوبا على برديات (ورق البردي) محفوظة في جرار، ومنسقة فوق رفوف. قسم منها يتطرق للموضوعات الدينية والآخر للموضوعات الدنيوية.

ففي المجال الديني برزت قصائد الفرعون " أخناتون"، وأشهرها " نشيد آتون" (الإله الواحد المتمثل في قرص الشمس). وفي شأن المزامير التي تجلّت في الأدب العبراني مأخوذة في شكلها وجوهرها عن الأدب المصري. علاوة على" كتاب الموتى" كدليل على الصبغة الدينية في الأدب.

أما الأدب الدنيوي فقد ظهر متأخرا. ووصلتنا بعض الأقاصيص لكتاب مجهولين، برعوا في التصوير وسَموا في الإحساس إذ نجد القصائد الدنيوية قد تطرقت إلى مواضيع وجدانية في الغزل والزهد.

ج .العلوم: كان المصريون أوّل من قسم السنة إلى أثني عشر شهرا، وجعل اليوم أربعا وعشرون ساعة. يقيسونها بواسطة الساعات المائية ليلا والشمسية نهارا. ومن أبرز العلوم نجد:

١– التقويم: عرفوا التقويم منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، فقد لاحظوا أن فيضان النيل يتكرر بانتظام مدهش، فأخذوا يعدون الأيام التي تفصل بين فيضانين، حتى استقر رأيهم على العدد ٣٦٥يومـــا. فكانـــت " السنة النيلية". قسموا هذه السنة إلى أربعة فصول أولها " فصل الفيضانات".

أما التأريخ فلم يبدأوه من معتقد ديني مثل مجيء المسيح أو هجرة النبي. بل كانوا يبدأونه منذ تولي الفرعون حكمه، فإذا مات عادوا منذ البداية يعدون سنوات حكم الفرعون الجديد، فيقولون مثلا في العام السادس من حكم الفرعون فلان كذا... الخ.

٢– الأعداد: ظلت معرفة المصريين بالأعداد محدودة. وجهلوا الصفر. وكان العدد الأول يرمـــز إليـــه بخـــط عمودي ويتكرر بقدر ما يريدونه من مرات، حتى إذا وصلوا إلى العدد عشرة رمزوا إليه بشارة خاصة (∩) ، ولكنهم مع الوقت طوروا علم الحساب، واتخذوا من الجمع والضرب والقسمة أساسا في مختلف الحسابات

٣– الهندسة: برعوا في هندسة المساحة لِحاجتهم إليها في تحديد الممتلكات، لِأن النيل كلما فاض بدّل المعـــالم والمساحات، فيقتضي إذن بعد كل فيضان أن تعاد الحدود إلى ما كانت عليه سابقا، وفي أعمال هندسة البناء لم يعجزوا عن وضع التصاميم مع قياساتها اللازمة. فقد عرفوا الطريقة الصحيحة لحساب المساحة في المستطيلات والمثلثات والدوائر.

٤– الطب: دفع المصريون بالطب أشواطا إلى الأمام . ولكنهم عجزوا عن تحريره كليا من السحر. وقد وجد المنقبون برديات تحمل معلومات طبية وفيرة ودقيقة، يشوبها أحيانا السحر إذ الاعتقاد السائد أنّ المرض نـــاتج عن الأرواح الشريرة. وأتيح للمصريين أن يتعرفوا على الجسم البشري وأعضاءه عن كثب. والتحنـــيط قـــد ساعدهم كثيرا في هذا المجال. لِأن التحنيط يستدعي تجويف الجسد، دون القلب إذ له منزلة خاصة، وجوفـــوا الرأس أيضا، ودرسوا ما يحيط بالنخاع. ولكنهم بالرغم من ذلك عجزوا عن فهم الدورة الدمويـــة، ووظيفـــة الأعضاء وعلاقاتها المشتركة . وقد تعلموا علاج بعض أعضاء الجسد و فهموا الوصفات الطبية التي تضـــمنتها البرديات والتي تتكلم عن العقاقير اللازمة لمعالجة الجراح والكسور والالتهابات والاضطرابات المعوية. إذ تنصح هذه البرديات بعدد معين من الوصفات، وعلى الطبيب أن يختار من بينها، أو أن يستعملها بالتدريج، مراعيـــا السِّن والطقس فيحذر من تناول بعض العقاقير خلال فصل الصيف.